طَيَّ الليالى زلفًا فزُلفا * سماوةَ الهلال حتّى احقوقفا[1]

(فلولا كانَ منَ القُرونِ مِنْ قَبلِكُم) أى فهلا و(أولُوا بَقيَّةٍ) أى أولوا بقية من دين يقال قوم لهم بقيةٌ وفيهم بقية اذا كانت فيهم مسكة وفيهم خيرٌ (واتبعَ الَّذينَ ظَلَمُوا ما أُترِفُوا فيهِ) أى ماأعطوا فيه الأموال أى آثروه واتبعوه ففتنوا به (ولا يزالون مُختَلِفينَ) فى دينهم (إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فان دينهم واحد لا يختلفون فيه (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) يعنى لرحمته خلق الذين لايختلفون فى دينهم وقد ذهب قوم إلى أنه للاختلاف خلقهم والله أعلم بما أراد (وجاءكَ فى هذِهِ الْحَقُّ) أى فى هذه السورة (اعْمَلُوا علَى مَكانَتِكُمْ) أى على مواضعكم واثبتوا (إنَّا عامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إنَّا منتَظِرون) تهديد ووعيد

﴿غريب سورة يوسف عليه السلام ومشكلها﴾

(فيَكِيدُوا لكَ كَيْدًا) أى يحتالوا عليك ويغتالوك (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ ربكَ) أى يختارك (ويُعَلِّمُكَ منْ تأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) أى من تفسير غامضها وتفسير الرؤيا (آياتٌ للسَّائِلينَ) أى مواعظ لمن يسأل (ونَحْنُ عُصْبَةٌ) أى جماعة يقال العُصْبَة من العشرة الى الأربعين (يَخْلُ لَكُم وجهُ أبيكُمْ) أى يفرغ لكم من الشغل بيوسف (وتَكُونُوا منْ بَعْدِهِ) أى من بعد إهلاكه (قَوْمًا صالِحِينَ) أى تائبين (نَرْتَعْ)

(١) قبله : تاج طواه الأين مما وجفا . طى الخ

بتسكين العين أى نأكل ويقال رتعت الإبل اذا رعت وأرتعتها اذا تركتها ترعى ومن قرأ ـ نرتَعِ ـ بكسر العين أراد نتحارس ويرعى بعضنا بعضا أى يحفظُ ومنه يقال رعاك الله أى حفظك الله و(الجُبُّ) الركية التى لم تطو بالحجارة فاذا طويت فليست بجبٍّ (إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ) يقال نتتصل أى يسابق بعضنا بعضا فى الرمى يقال سابقته فسبقته سبْقا والخَطَر هو السبَقُ بفتح الباء (ومَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لنَا) أى بمصدِّق لنا (وَجاؤُا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) أى مكذوب به (قال بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) أى زيَّنت ـ وكذلك سوّل لهم الشيطانُ أعمالهم ـ أى زينها (وجاءَت سَيَّارَةٌ) قوم يسيرون (فأرْسَلوا وَارِدَهُم) أى وارد الماء ليستقى لهم (فَأَدْلى دَلْوَهُ) أى أرسلها يقال أدلى دلوه إذا أرسلها للاستسقاء ودَلى يدلو إذا جذبها ليخرجها (قال يابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ) وذلك أن يوسف تعلق بالحبل حين أدلاه أى أرسله (وأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً) أى أسرُّوا فى أنفسهم أنه بضاعةٌ وتجارةٌ (وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ) اشتروه يعنى السيّارة ويكون باعوه يعنى الاخوةَ وهذا حرف[1] من الأضداد يقال شريت الشىء بمعنى بعته واشتريته وقد ذكرت هذا وما يشبهه والعلل فيما سلف من كتاب المشكل والبخس الخسيس الذى بخس به البائع (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) يسيرة سهل عددها لقلتها ولو كانت كثيرة لثقل عددها (أَكْرِمِى مَثْوَاه) أى أكرمى منزله ومقامه عندك من قولك ثويت بالمكان إذا أقمت به

(١) كذا بالاصل ولعله ضرب

(أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) أى نتبنّاه (وبلَغ أشُدَّه) انتهى منتهاه قبل أن يأخذ فى النقصان وهو جمع يقال لواحده شد وأشد مثل قد وأقد وهو الجلد ويقال لاواحد له وقد اختلف فى وقت بلوغ الأشد فيقال هو بلوغ ثلاثين سنة ويقال هو بلوغ ثمان وثلاثين سنة (وقالَتْ هَيْتَ لك) أى هلُمَّ لك يقال هيّت فلان لفلان إذا دعاه وصاح به قال الشاعر

قد رابنى أن الكرىّ أسكتا * لو كان معنيّا بها لهيّتا

(لَوْلا أنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّه) أى حجته عليه (وألْفيا سيِّدَها لَدَى البابِ) أى وجداه عند الباب (إنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخاطِئينَ) قال الأصمعى يقال خَطِئَ الرجل يخطأ خِطْأً إذا تعمّد الذنب فهو خاطىء والخطيئة منه وأخطأ يُخْطِئُ إذا غلِطَ ولم يتعمد والإسم منه الخَطَأُ مقصور (قَدْ شَغَفَها حُبًّا) أى بلغ حبّه شغافها وهو غِلاف القلب ولم يرد الغِلاف إنما أراد القلب يقال شَغَفَت الرجل إذا أصبتَ شَغافه كما يقال كبدته إذا أصبت كبده وبطنتَه إذا أصبت بطنه ومن قرأ شعفها بالعين أراد فتنها من قولك فلان مشعوف بفلانة (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنّ) أى بقولهن وغيبتهن (وَأَعْتَدَتْ لَهُنّ مُتَّكَأً) أى أعدّت من العَتاد (متكأً) أى طعاما يقال اتكأنا عند فلانٍ إذا طعمنا وهو من الاستعارة قال جميل

فَظَلِلْنا بنعمةٍ واتكأنا ... وَشَرِبْنا الحَلالَ من قُلَلِهْ

(قال أبو محمد) والأصل أنّ مَنْ دَعوتَه ليُطْعِم أعددت له التَّكأة للمقام والطمأنينة فسمى الطعام متَّكأً على الاستعارة ومن قرأ مُتْكَأً فانه

أراد الأترُجّ ويقال الزُّماوَرْدْ (قال أبو محمد) وأيّا ما كان فإني لا أحسبه سمي متكاً إلا بالقطع كأنه مأخوذ من البتك فأبدلت الميم فيه من الباء كما يقال سمَّد رأسه وسبَّده وشيءٌ لازب ولازم والميم تبدل من الباء لقرب مخرجيهما ومنه قيل للمرأة التي لم تحض والتي لاتحبس بولها متكاء أي خَرْقاء والأصل بتكاءُ قال ومما يدل على هذا قوله (وآتَتْ كُلَّ واحِدةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً) لأنه طعام لايؤكل حتى يقطع وروى جُوَيْبر عن الضحاك قال المتك كل شيءٍ يحزُّ بالسكاكين وهذه القراءة أعني مُتْكاً باسكان التاء تعزى الى عبد الله بن عباس رضي الله عنه ودلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام فأنزله الله عز وجل بالمعنيين جميعا وله في المشكل باب وهو باب الردّ عليهم في وجوه القراءات وذلك أن الملحدين احتجوا بقول الله تعالى ـ ولو كان من عِنْدِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اختِلافاً كثيراً ـ وبقوله عز وجل ـ لا يأتيه البَاطلُ مِن بَينِ يَدَيْهِ ولاَ مِنْ خَلْفِه ـ وقالوا وجدنا الصحابة والتابعين يختلفون في الحروف ثم ذكرها بجملتها. ثم قال في باب الرد عليهم: أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف فانا نحتج عليهم بقوله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ فاقرؤا كيف شئتم» وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا السبعة الأحرف وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج، وقال قوم آخرون أمرٌ ونهيٌ وخبر ما كان وخبر ماهو كائن بعد وأمثال. وقال آخرون هي سبع لغات في الكلمة. وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل ومن قال

فلان يقرأ بحرف أبي عمرو أو بحرف عاصم فانه لا يريد شيئاً مما ذكروا وليس يوجد في كتاب الله عز وجل حرف قرىء على سبعة أوجه يصح فيما أعلم وإنما تأويل قوله نزل على سبعة أحرف على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن يدلك على ذلك قول رسول الله ﷺ « فاقرؤا كيف شئتم » وقال عمر رضي الله عنه سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال له اقرأ فقرأ تلك القراءة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال لي اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر فمن قرأ قراءة عبد الله فقد قرأ بحرفه. ومن قرأ قراءة أُبيٍّ فقد قرأ بحرفه ومن قرأ قراءة زيد فقد قرأ بحرفه والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم وعلى الكلمة الواحدة ويقع هو والكلمة على الرسالة بأسرها والخطبة كلها والقصيدة بكمالها وكذلك الكلمة ألا ترى أنهم يقولون قال الشاعر كلمته يعنون بها قصيدته — والله تعالى يقول — ولَقَدْ قالُوا كلمة الكُفْرِ — وقال — وألزمهم كَلِمَةَ التَّقْوى — وقال — ولَقَدْ سَبَقَت كَلِمَتُنَا لِعِبادنا المرسلين — وقال — ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعبُدُ اللهَ على حَرْفٍ فإن أصابَهُ خيرٌ اطْمأَنَّ بِهِ وإن أصابَتْهُ فتنةٌ انْقَلَبَ على وَجْهِهِ — أراد ومن الناس من يعبُد اللهَ على الخير يصيبُه من تثمير المال وعافية البدن وإعطاء السؤل فهو مطمئنٌّ مادام ذلك فان امتحنه اللهُ باللأْوَاء في عَيْشِه والضراء في بدنه وماله كفر فهذا عندالله

عزوجل على وجه واحدومذهب واحدوهومعنى الحرف ولوعبده على الشكر للنعمة والصبرعلى المصيبة والرضا بالقضاء لم يكن عبده على حرف ﴿قال أبو محمد﴾ وقدتدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات فوجدتهاسبعة أحرف (أولها) الاختلاف فى إعراب الكلمة وفى حركات بنائها بما لايُزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يُغيِّر معناها نحو قوله عز وجل ـ هَؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم ـ وأطهرَ لكم ـ وهل يُجازى إلاالكفورُ ـ وهل يجازى الا الكفورَ ـ ويأمُرون النَّاسِ بالبُخْلِ ـ وبالبَخَلِ ـ ونظِرة إلى مَيْسَرَة ـ وإلى مَيْسُرة (والوجه الثانى) أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يُغيِّر معناها ولا يُزيلها عن صورتها فى الكتاب نحو قوله ـ ربَّنَا بَاعِدْ بينَ أسفارِنَا ـ وربُّنا باعَدَ بين أسفارنَا ـ واذ تَلَقَوْنَهُ بألسِنَتِكُمْ ـ وتَلَقُّونَهُ ـ وادَّكر بَعْدَ أُمَّةٍ ـ وبعد أَمَهٍ (والوجه الثالث) أن يكون الاختلافُ فى حروف الكلمة دونَ إعرابها بما يُغيِّر معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى ـ وانظُرْ إلى العِظَامِ كيفَ نُنْشِرُها ـ ونُنْشِزُها وقوله ـ حتى إذا فُزِّعَ عَنْ قلُوبِهِم ـ وفُرِّغ عَنْ قلُوبِهِم ـ (والوجه الرابع) أن يكون الاختلافُ فى الكلمة بما يغيِّر صورتَها فى الكتاب ولا يغيِّر معناها نحو قوله ـ إن كانَتْ إلاَّ صَيْحَةً واحدةً ـ وزَقْيَةً واحدةً وكالصُّوفِ المنفُوشِ وكالعِهْن (والوجه الخامس) أن يكونَ الاختلافُ فى الكلمةِ بما يُزيلُ صورتَها ومعناها نحو قوله عزوجهه ـ وطَلْعٍ منضودٍ فى ـ موضع طَلْحٍ (والوجه السادس) أن يكونَ الاختلافُ بالتقديم

والتأخير نحو قوله عز وجل ـ وجاءت سَكرةُ الحقِّ بالْمَوْتِ ـ فى موضع وجاءت سكرةُ الْمَوْتِ بالْحَق (والوجه السابع) أن يكون الاختلاف بالزِّيادةِ والنُّقصانِ نحو قوله ـ وما عَمِلَتْ أيْدِيهِم ـ وما عملته أيديهم (وقوله) ـ إنّ اللهَ هُوَ الغَنىُّ الحميد ـ وإن اللهَ الغَنىُّ الحميدُ ـ سورة الحديد وقرأ بعض السلف رضى الله عنه ـ إنّ هذا أخى له تِسْعٌ وتِسْعُون نعجةً أنثى ـ ـ وإنّ الساعةَ آتيةٌ أكادُ أُخفِيها من نفسى فكيفَ أُظهِرُكُم عليها ـ فاما زيادة دعاء القنوت (فى مصحف) أُبَىٍّ ونقصان أم الكتاب والمعوذتين من مصحف عبد الله رضى الله عنهما فليس هذا من الوجوه وسنخبر بالسبب فيه إن شاء الله عز وجل ﴿قال أبو محمد﴾ فكلُّ هذه الحروف كلام الله سبحانه نزل به الروح الأمين على رسوله ﷺ وذلك أنه كان يعارضه فى كل شهر من شهور رمضان ما اجتمع عنده من القرآن العزيز فيحدث الله عز وجل إليه فى ذلك مايشاء وينسخ مايشاء ويُيَسِّرُ على عباده مايشاء فكان من تيسيره أن أمَرَهُ أن يقرأ كلُّ قوم بلُغَتِهِمْ وما جرت عليه عادتهم فالهُذَلىُّ يقرأ ـ عَتَّى حين ـ يريد حتى حين لأنه هكذا يلفظ بها ويسمعها. والأسدىُّ يقرأ تِعْلمون وتِعلمُ وتِسوَدّ وجوه وألَمْ إعْهَدْ إليكم، والتَّميمى يهمز، والقرشىُّ لايهمز والآخر يقرأ واذا قيل وغيض باشمام الضمِّ الكسر ـ وبضاعتُنا رُدّت إلَينا ـ باشمام الكسر مع الضمِّ ـ ومالك لاتأمنّا ـ باشمام الضمِّ مع الإدغام وهذا مالا يطوع به كل لسان ﴿قال أبو محمد﴾ ولو أراد كل فريقٍ من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده

طفلاً وناشئاً وكهلاً اشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ثم لم يمكنه ذلك إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للّسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله عز وجل بلطفه ورحمته أن يجعل لهم متّسعاً فى اللغات ومتصرفا فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله الكريم ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من أصحابه رضى الله عنهم فى فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وزكاتهم وحجهم وطلاقهم وعتقهم وسائر أمور دينهم ﴿قال أبو محمد﴾ فان قال قائل فان هذا جائز فى الألفاظ المختلفة اذا كان المعنى واحداً فهل يجوز أيضاً اذا اختلفت المعانى ؟ قيل له الاختلاف نوعان اختلاف تغاير واختلاف تضادّ فاختلاف التضاد لايجوز ولست واجده بحمد الله فى شىء من كتاب الله تعالى إلا فى الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ واختلاف التغاير جائز وذلك مثل قوله ـ وادّكر بعد أمّة ـ أى بعد حين ـ وبعد أمَهٍ ـ أى بعد نسيان والمعنيان جميعاً وان اختلفا صحيحان لأنه ذكر أمر يوسف عليه السلام بعد حين وبعد نسيان له فأنزل الله عز وجل على نبيه الكريم ﷺ بالمعنيين فى عرضتين وكقوله ـ ربّنا باعِدْ بينَ أسفارنا ـ وكذلك قوله ـ إذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلسِنَتِكُمْ ـ أى تقبلونه وتقولونه وتلقُّونَه من الوَلَقِ وهو الكذب والمعنيان جميعاً وان اختلفا صحيحان لأنهم قبلوه وقالوه وهو كذب فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ بالمعنيين جميعاً فى عرضتين وكقوله ـ ربنا باعد بين أسفارنا ـ على طريق المسألة والدعاء ـ وربَنا باعَدَ بين أسفارنا ـ على جهة الخبرَ والمعنيان وان اختلفا صحيحان

لأن أهلَ سبأ سألوا الله عزّ وجل أن يفرقهم فى البلاد فقالوا ـ ربنا باعِدْ بين أسفارِنا ـ فلما فرقهم أيدى سبَا قالوا ـ ربنا باعَدَ بين أسفارنا ـ وأجابنا إلى ماسألناه فحكاه الله عنهم بالمعنيين فى عرضتين وكذلك قال عز وجل ـ لقد علِمْتَ ما أنْزَل هؤُلاء إلا ربُّ السّمواتِ والأَرض ـ ولقد علمتُ ما أَنْزَلَ هؤلاء ـــ لأن فِرعونَ قال لموسى عليه السلام إن آياتك التى أتيت بها سحرٌ فقال موسى عليه السلام ـ لقد علمتُ ماهى سحرٌ ولكنها بصائرُ وقال مرة أخرى لقد علمتَ أنت أيضاً ماهى سحرٌ فأنزل الله المعنيين جميعاً. وكذلك ننشِرُها وننشزُها لأن الانشار الإحياء والانشازُ التحريك للنقل والحياة حركة فلا فرق بينهما . وكذلك فُزِّع عن قلوبهم وفُرِّغ لأن فزِّع خفف عنها الفزع وفرِّغ فُرِغ منها الفزع وكذلك متَّكَأً ومتْكاً المتقدم ذكره فى أول الباب ﴿قال أبو محمد﴾ فكل ما كان فى القرآن من تقديم أو تأخير أو زيادة أونقصان فعلى هذا السبيل . فان قال قائل فهل يجوز لنا أن نقرأ به وليس ذلك لنا فى ماخالفه لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرأوا بلغاتهم وجروا على عاداتهم وخلوا أنفسهم وسوم طباعهم . وكان ذلك جائزاً لهم ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل عارفين بالتأويل. فأما نحن معشر المكلفين فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف رضوان الله عليهم على مصحف هو آخر معرض فليس لنا أن نعدوه كما كان لهُم أن يفسروه وليس لنا أن نفسره ولو جاز أن نقرأ بخلاف ما ثبت فى مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف وعلى الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير

وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموفقون رضى الله عنهم وسترى ماقيل فى المعوذتين إذا انتهينا إلى ذكر غريبهما إن شاء الله تعالى ﴿غ﴾ رجع القول إلى ذكر الغريب (من) سورة يوسف صلى الله عليه وسلم قوله (أَكْبَرْنَه) هالهن فأعظمنه (فاسْتَعْصَمَ) أى امتنع (أَعْصِرُ خَمْراً) يقال عِنَباً قال الأصمعى خبرنى المعتمر بن سليمان أنه لقى أعرابياً معه عنب فقال ما معك قال خمر وتكون الخمر بعينها كما يقال عصرت زيتا وإنما عصرت زيتونا (اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ) أى عند سيدك قال الأعشى يصف ملكاً

ربّى كريمٌ لايُكَدِّرُ نِعْمَةً ... وإذا يُنَاشَدُ بالمهارق أنشدا[1]

(فَلَبِثَ فى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين) يقال ما بين الواحد إلى السبعة وقال أبو عبيدة هو ما لم يبلغ العقد ولا نصفه يريد ما بين الواحد الى الأربعة (قالُوا أَضغاثُ أحلامٍ) أى أخلاط أحلام مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروب مختلفة والأحلام واحدها حُلْمٌ (بَعْدَ أُمَّةٍ) أى بعد حين ويقال بعد سبع سنين وبعد أمَهٍ بعد نسيانٍ وقد تقدم ذكره فى باب القراءات (الصِّدِّيقُ) الكثير الصدق كما يقال فِسِّيقٌ وشِرِّيبٌ وسِكِّيرٌ اذا كثر ذلك منه (تَزْرَعُون سَبْعَ سِنِينَ دأْباً) أى جِدًّا فى الزراعة ومتابعة ويقرأ دَأَبًا بفتح الهمزة وهما واحد يقال دأبت أَدْأَبُ دأْبًا ودَأَبًا (تُحْصِنُون) أى تُحرِزون (يُغَاثُ النَّاسُ) أى يمطرون والغيث المطر (وفِيهِ يَعْصِرُون) يعنى الأعنابَ والزيتَ قال أبو عبيدة

(١) فى لسان العرب: واذا تنوشد فى المهارق أنشدا

يعصرون ينجُون والعُصْرة النجاة قال الشاعر[1]

* ولَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ *

أى غياثًا ومَنْجاةً للمكروب (مَاخَطْبُكُنَّ) أى ماأمْرُكنّ ماشأنكنّ (الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ) أى وضح وتبين ﴿ومن المشكل قال أبو محمد﴾ ألآن هو للوقت الذى أنت فيه وهو حدّ الزمانين حدُّ الماضى من آخره وحد المستقبل من أوله قال الفراء هو حرف بُنِىَ على الألف واللام ولم يخلعا منه وتُرِك على مذهب الصفة لأنه صفة فى المعنى واللفظ كما رأيتهم فعلوا بالذى فتركوه على مذهب الأداة والألف واللام له لازمة غير مفارقة ورأى أصله أوانَ حذفت منه الألف وغيرت واوُه إلى الألف كما قالوا فى الراح الرياح وأنشد

كأن مكاكِىّ الجِواءِ غُدِيَّةً نشاوى تسافوا بالرياح المغلغل

قال فهى مرة على تقدير فعل ومرةً على تقدير فعال كما قالوا زمن وزمان وإن شئت جعلتها من قولك إن لك أن تفعل كذا وكذا أدخلت عليه الألف واللام ثم تركتها على مذهب فعل منصوبة كما قالوا نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال فكانتا كالإسمين وهما منصوبتان ولو خفضتا على النقل لهما من حد الأفعال إلى الأسماءِ فى النية كان صوابًا قال الفراء: وسمعت العرب تقول من شُبَّ إلى دُبَّ ومن شبِّ الى دُبِّ مخفوضٍ منونٍ يذهبون به مذهب الاسماء والمعنى مذكان صغيراً يشبُ

(١) هو أبو زبيد قال يرثى ابن أخته: صادياً يستغيث غير مغاث

إلى أن دَبّ وكَبِرَ قال الله عز وجل ـ أَلآنَ وقد عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ ـ آلآنَ وقَدْ كُنْتُم به تَسْتَعْجِلُونَ ـ أى أفى هذا الوقت وهذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل ﴿غ﴾ (خَيْرُ المُنْزِلِينَ) أى خير المضيفين (وَنَمِيرُ أهلنا) من الميرة يقال مار أهله يميرهم ميراً وهو مايرُ أهله إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلد (ونَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) أى حمل بعير (إلاَّ أنْ يُحاطَ بِكُمْ) أى تشرفوا على الهلكة وتغلبوا (واللهُ عَلَى ماتَقُولُ وَكِيلٌ) أى كفيل (وقالَ يَابَنِيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ) يريد إذا دخلتم مصر (وادْخُلوا مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) يقال خاف عليهم العين اذا دخلوا جملة (آوى إلَيْهِ أخاهُ) أى ضمه إليه يقال آويت فلاناً إلى حد الألف إذا لجأت إليهم (فَلاَ تَبْتَئِسْ) من البؤس (السِّقَايَةَ) المكيال وقال قتادة مشربة الملك (ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ) أى قال قائل أو نادى منادٍ (أيَّتُهَا العِيرُ) القوم على الإبل (صُوَاعَ المَلِكِ) وصاعُهُ واحدٌ (وأنَا بِهِ زَعِيمٌ) أى ضمين (قالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) أى سنستعبده بذلك وكذلك سنة آل يعقوب فى السّارق (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) أى احتلنا له والكيد الحيلة ومنه قوله ـ إنَّ كَيدَكُنَّ عَظِيمٌ ـ (فى دِينِ المَلِكِ) أى فى سلطانه (قالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) يعنون يوسف عليه السلام وكان سرق صنماً يُعْبَدُ وألقاهُ (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) أى اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم يتناجون ويتناظرون ويتسارُّون يقال قوم نجى والجمع أنجيةٌ قال الشاعر

إنى إذَا ما القومُ كانُوا أنجيهْ واضطربت أعناقهم كالأرشيه[1]

(قَالَ كَبِيرُهُم) أى أعقلهم وهو شمعون وكأنَّهُ كان رئيسهم وأما أكبرهم فى السنين فروبيل وهذا قول مجاهد رحمة الله عليه وفى رواية الكلبى كبيرهم فى العقل وهو يهوذا (وما كُنَّا لِلغَيب حافِظِين) يريد حين أعطيناك المواثيق لنأتينك به أى لم نعلم أنه يسرق فيؤخذ (وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) والأسف أشد الحسرة (فَهُو كَظِيمٌ) مثل كاظمٍ كما يقولون قدير وقادرٌ والكاظم الممسك على حزنه لا يظهره ولا يشكوه (تَاللهِ تَفْتَوأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) أى لاتزال تذكره قال أوس بن حجر

* فَمَا فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وَتَدَّعِى *

(حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً) أى دنفا يقال أحرضه الحزنُ أى أدنفه ولا أحسبهُ قيل للرجل السّاقط حارض إلا من هذا كأنه الذاهب الهالك (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) يعنى الموتى (والْبَثُّ) أشد الحزن سمّى بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أى يشكوه (بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قليلة ويقال رديّة لا تنفق فى الطعام وتنفق فى غيره لأن الطعام لا يؤخذ فيه إلا الجيّد (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) يعنون تفضل بما بين البضاعة وبين ثمن الطعام (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ الْيَومَ) أى لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وأصل التثريبْ الافساد ويقال ثرّب علينا اذا أفسد وفى الحديث «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرّب» يريد لا يعيرها بالزنا (لَوْلَا أَن

(١) فى شواهد الكشاف واللسان : واضطرب القوم اضطراب الارشية

تُفَنِّدُونِ) أى تعجزونى ويقال لولا أن تجهلونى يقال أفندهُ الهرمُ اذا خلط فى كلامه (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) أى على السّرير (وكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ) أى كم من آية دليل وعلامة (فِى) خلق (السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وما يؤمن أكثرُهم باللهِ إلاَّ وهُمْ مُشْرِكُونَ) يريد أنهم إذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ثم هم يشركون بعد ذلك أى يجعلون له شركاً (غَاشِيَةٌ منْ عَذابِ اللهِ) أى مجللةٌ تغشاهم ومنه قوله تعالى ـ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ ـ أى خبرها (أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) أى على يقين ومنه يقال فلان مستبصرٌ فى كذا أى مستيقن ﴿ ش ﴾ (حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَنْ نَشاءُ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ قد تكلم المفسرون فى هذه الآية بما فيه مقنع وغنى عن أن توضح بغير لفظهم فروى عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن قتادة أنه قال استيأسَ الرسُلُ من قومهم ـ وظَنُّوا أَنَّهُم قَدْ كُذِبُوا جاءهُمْ نَصْرُنَا ـ وكان يقرؤها بالتشديد وروى عبد الرزاق عن معمرٍ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت استيأس الرُّسُلُ مِمَّن كذَّبَهُم من قومهم أن يُصَدِّقوهم وظنَّت الرسُلُ أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذَّبوهم جاءهم نصرُ اللهِ عندَ ذلك وكانت تقرؤها قد كُذِّبوا بضم الكاف وتشديد الذال . وروى عن ابن أبى مليكة عن عروة عن عائشة أنها قالت لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . وروى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها ـ قد كَذَبوا ـ بفتح